مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة تصدر سنويًا

العدد الرابع والعشرون

1375 من وفاة الرّسول ﷺ الموافق لعام 2007 مسيحي

تصدر عن
كلية الدعوة الإسلامية
طرابلس - الجماهيريّة العربيّة الليبيّة الشّعبيّة الاشتراكيّة العظمى

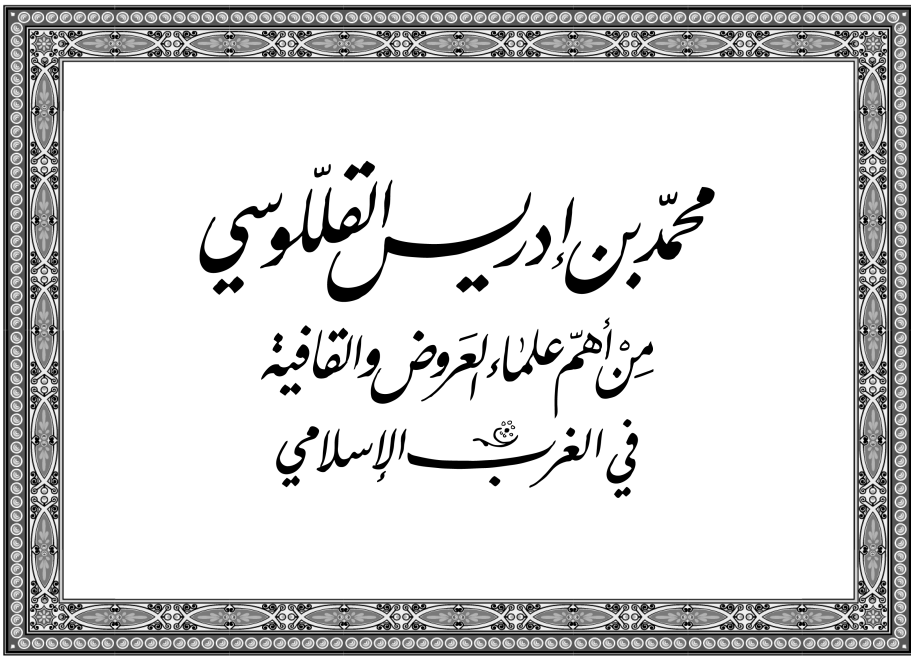

محمّد بن إدريس القلّوسي
من أهمّ علماء العروض والقافية في الغرب الإسلامي

د. عبد اللّه محمّد الزّيات
جامعة الفاتح

لعل الصواب لا يخطىء رأي من يقول: إن ميدان علم العروض والقافية من ميادين التراث التي نالها الإهمال أكثر من غيرها إذا ما قورنت بالفروع الأخرى من تراث اللغة العربية؛ فما حقق من كتب العروض يمثل نسبة ضئيلة من الكتب التي تخبرنا المصادر أنها ألفت في هذا الميدان، وقد عرف المحقق أو الدارس العربي كما كبيراً من المخطوطات موجوداً في مكتبات العالم لم يحقق حتى الآن، وهذا ينطبق على تراث العربية في العروض التي تنتشر مخطوطاته في ديار الإسلام بشقيها الغربي والشرقي، والمثال على هذا الإهمال أو عدم النشر الذي لاقته كتب العروض كتاب جمال الدين بن مالك وكتب ابن بري والقللوسي.

ولم يهمل تحقيق ونشر كتب العروض الدارسون العرب فقط، بل إن المستشرقين أيضاً قد تجنبوا البحث في العروض والخوض في ميدان تحقيق كتبها ودراستها، وذلك إذا قارنا عملهم في العروض بما قاموا به في ميادين أخرى من مجالات اللغة العربية، مثل الأدب والنحو والصرف والأسلوب والغزل العذري والنحل والسرقات، كما يقرر مسلك ميمون في دراسته «المستشرقون ودراسة العروض العربي»[1] وعدد قليل من المستشرقين هو الذي كان استثناء من هذه القاعدة فدرس هذا البعض العروض وتناولها تحقيقاً أو بحثاً، مثل الباحث الإسباني أ. سانتشيث سانتشا A. Sanchez Sancha[2]، ومثل المستعرب الإسباني الكبير غرثية غومث إذا اعتبرنا بحثه في عروض الموشحات اهتماماً بالعروض العربي مطلقاً، وهذا الإهمال كأن وراءه هاجساً يقول: إنه لا جدوى من دراسة الجانب الفونولوجي في الشعر العربي [أي الوزن والقافية][3].

ولعل السبب في عدم الاهتمام الكثير بكتب العروض ومن ثم عدم نشرها وتحقيقها صعوبة مادتها ودقة مسالكها، حتى إننا لم نلق دراسات كثيرة في أطروحات جامعية أو غيرها تقوم على العروض كما هو الشأن في موضوعات أخرى من ميادين الثقافة العربية مثل ميادين اللغة والأدب والنحو والنقد والبلاغة.

أو لعل السبب في ذلك أيضاً ما ذهب إليه بعض علماء العربية ومن بينهم الجاحظ فيما ينقل عنه من أنه لا حاجة إلى علم العروض المستبرد الثقيل[4] وأعتقد أنه لو صح ذلك لصار عمل الخليل ومن جاء بعده في هذا الميدان عبثاً لا

---

(1) مجلة عالم الفكر، مجلد 25 العدد الأول يوليو ـ سبتمبر 1996، ص187 ـ 206.

(2) وذلك في محاضراته التي ألقاها في معهد الثقافة العربي الإسباني بمدريد في عام 1982، التي طبعت فيما بعد في بحث مطول ضمن صحيفة «أوراق جديدة» التي كان يصدرها هذا المعهد [العددان 7 ـ 8 1984 ـ 1985، ص 47 ـ 175].

(3) السابقو ص188.

(4) يوجد ذلك في إحدى المخطوطات التي بحوزة الكاتب ولم أجده في كتاب البيان والتبيين ولا الحيوان ولا رسائله التي رجعت إليها.

طائل من ورائه إلا تضييع الوقت وهدر الجهد، وأتصور أن هذه النتيجة الأخيرة مما لا يقول به عاقل.

ويرجع بعض الباحثين[5] سبب ذلك الهجوم الذي لقيه علم العروض إلى صعوبة فهمه، ويذكر في هذا السياق الرواية التي تذكر أن أحد كبار اللغويين ـ ولعله الأصمعي ـ هو الذي تذكر الرواية أن الخليل لما حاول معه لتعليمه العروض فوجده حالة ميؤوساً منها في هذا الشأن أعطاه البيت التالي، موهماً إياه أنه يريد منه تقطيعه، بينما هو يوحي إليه بفكرة أن لا جدوى من محاولاته اليائسة لتعلم العروض:

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع[6]

ومن ثم أيضاً كان نفي الحاجة إلى أهمية علم العروض كما جاء عن ناقد كبير في تاريخ آداب اللغة العربية وهو قدامة بن جعفر[7]، وقبله بحوالي قرن الجاحظ، وهو الأديب المبدع والناقد الكبير الذي نقل عنه هذا القول: «هو علم مولد وأدب مستبرد ومذهب مرفوض يستنكد العقول بمستفعلن وفعول من غير فائدة ولا محصول»[8].

وما احتج به الجاحدون لأهمية علم العروض من كون الشاعر يعرف الصحيح من المنكسر من الشعر دون حاجة إلى العروض، لا ينفي الحاجة إلى هذا العلم؛ إذ لو صح ذلك لصح أن يقال: إن نطق العرب الأوائل بالكلام صحيحاً في الأمثال والحكم والشعر وما تواتر عنهم من نماذج اللغة الفصيحة لم يكن محوجاً إلى تقعيد النحو وتعلمه وتعليمه، لكننا نعود على بدء فنقول: إن

---

(5) انظر: المدارس العروضية لعبد الرؤوف بابكر السيد ص134 ـ 135.

(6) ورد البيت مع ثان له منسوباً إلى عمرو بن معديكرب في الحيوان للجاحظ، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت 1419/ 1988، 2/ 71.

(7) انظر: نقد الشعر تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص61 ـ 62.

(8) نقل هذا القول عبد الرؤوف بابكر السيد عن الطغرائي في شرحه للامية العجم، انظر المدارس العروضية 134.

وصف علم العروض بكونه مستبرداً مستثقلاً قد لا يستغرب من أديب مثل الجاحظ، لكن نقاداً مثل صاحب كتاب نقد النثر لا يقبلونه؛ قال هذا الأخير: «ويحتاج الشاعر إلى تعلم العروض ليكون معياراً له على قوله، وميزاناً على ظنه، والنحو ليصلح به من لسانه، ويقيم به إعرابه، والنسب وأيام العرب والناس، ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب فيذكرهما»[9].

وهذا المذهب من ضرورة معرفة علم العروض للشاعر مذهب ارتآه وذهب إليه أغلب النقاد والأدباء في المشرق والمغرب، ومن المشارقة الذين ذهبوا إليه ضياء الدين بن الأثير الذي أكد على أهمية علم العروض والقافية للشاعر، وأنهما من الأدوات البيانية التي يحتاج إليها الناظم دون الناثر كما قال: «وأما النوع الثامن وهو ما يختص بالناظم دون الناثر، وذلك معرفة العروض وما يجوز فيه من الزحاف وما لا يجوز، فإن الشاعر محتاج إليه»[10]، وهو يبين أن إتقان علم العروض لا يعني أنه الوسيلة لقول الشعر؛ إذ إن قول الشعر موهبة واستعداد فطري قبل أن يكون تعلماً وصقلاً، لكن ذلك التعلم وهذا الصقل الذي يتم بأدوات من بينها علم العروض هو شيء ضروري للشاعر فيقول: «ولسنا نوجب عليه المعرفة بذلك لينظم بعلمه، فإن النظم مبني على الذوق، ولو نظم بقطيع الأفاعيل لجاء شعره متكلفاً غير مرض، وإنما أريد للشاعر معرفة العروض لأن الذوق قد ينبو عن بعض الزحافات، ويكون بذلك جائزاً في العروض، وقد ورد للعرب قبله، فإذا كان الشاعر غير عالم به لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وما لا يجوز، ولذلك أيضاً يحتاج الشاعر إلى العلم بالقوافي والحركات، ليعلم الروي والردف وما يصح من ذلك وما لا يصح»[11].

ومن النقاد والأدباء المغاربة أو أدباء الغرب الإسلامي [بمصطلح العصر] الذين قيدوا ذلك وسجلوه في كتبهم ابن الأحمر الغرناطي الذي يقول متحدثاً

---

(9) ص83.

(10) المثل السائر، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار نهضة مصر 1/ 61 ـ 62.

(11) السابق، الصفحة نفسها.

عمن يقرض الشعر «لا بد له من معرفة العروض وعلم القوافي؛ إذ بالعروض يقيم صغا الأوزان[12] الموجودة للعرب، ومن كان جاهلاً به والوزن في طبعه ربما وقع في غير أوزان العرب، وخرج للأوزان الطبيعية من الدوائر وغيرها، مثل أوزان الموشح وغيره، ولولا مخافة التطويل لذكرنا... وأثره وبحوره وأعاريضه وضروبه وتفعيلاته في التقطيع»[13].

إذن رغم وجود الأقوال القليلة بعدم أهمية العروض ومن ثم عدم الاهتمام بكتبه، فإن القول الغالب: إن علم العروض والقوافي من العلوم الضرورية للشاعر والناقد، ومن ثم ألفت كتب ليست قليلة في هذا العلم، لكن تنوسي أو نسي الكثير منها، كما تنوسي أو نسي معها مؤلفوها خصوصاً في حركة الإحياء الحديثة التي ترتبت عنها ظاهرة بعث كتب التراث، ومن تلك الكتب العروضية التي لقيت الإهمال كتب عالم عروضي كبير من الأندلس، لقي هو الآخر الإهمال مثل كتبه، على أهمية هذه الكتب في الكشف عن مراحل تطور موسيقى الشعر العربي، حتى بدت في شكلها المتفرد في الأندلس، وهو الموشحات والأزجال، ثم الدوبيت، فقد ذكر هذا العروضي في كتبه المشار إليها أوزان الموشحات والأزجال والدوبيت في مناسبات كثيرة، وكانت أغلب تلك الموشحات أو كلها لوشاحين أندلسيين، ومن ثم تكون كتبه ـ وخصوصاً ما كان في العروض المهمل ـ حلقة من حلقات السلسلة المتطورة في السياق الذي كتب فيه ابن بسام ثم ابن سناء الملك حين تحدث الأول حديثاً ضئيلاً عن أوزان الموشحات، وحين ترك إيراد شيء من نماذج الموشحات لكون أغلبها على غير الأوزان الخليلية[14]، وحين وضع الثاني أول نظرية للموشحات[15]، مستقياً إياها من الموشحات الأندلسية، متوقفاً عند الأوزان التي قسمها إلى ما كان على

(12) أي ميلها.
(13) نثير الجمان 52.
(14) الذخيرة 1، 1/ 470.
(15) انظر: دار الطراز.

الأوزان الخليلية صافياً، وما كان ببعض التصرف، مما لم يكن له علاقة تذكر بالأوزان الخليلية[16]، وكان قد وُجد ـ معاصراً لهذين العالمين وقبيلهما وبعيدهما ـ من العلماء من توقف عند وزن الموشحات والأزجال، مثل البلنسي والحجاري وابن سعيد وابن خلدون وابن الخطيب وغيرهم، غير أنها وقفات يسيرة، أو أنها قد ضاعت فيما ضاع من تراث الأندلس.

ومن الغريب في الأمر أن يُهتم بعروضيين من الغرب الإسلامي أقل شهرة وأثراً من عروضينا هذا المدعو بالقللوسي ـ كما سنرى أسفله ـ مثل ابن السراج الشنتريني أو الشقراطيسي أو أبي البقاء الرندي؛ لأن أغلب هؤلاء أو كل واحد منهم لم يزد في التأليف في العروض على كتاب واحد، أو شرح منظومة واحدة في العروض، أما صاحبنا فلقد كان له العديد من كتب العروض والقافية تأليفاً مستقلاً، وشرحا لكتب سابقة عليه، ونظماً لعلم العروض أيضاً، بل إنه خاض التأليف في ميدان قل الخوض فيه، وهو التأليف في العروض المهمل والدوبيت، اللذين كانت دراستهما ممارسة لدراسة عروض الموشحات والأزجال، وهو ما لم يخض فيه من المغاربة إلا النادرون، ولم يخض فيه أحد من الأندلسيين وصلت إلينا مؤلفاته ـ فيما نعلم ـ سوى مؤلفنا هذا.

وإذا كان علم العروض في الغرب الإسلامي قد عرف عالماً كبيراً اكتنفه الغموض فلم تترجم له كتب التاريخ ترجمة وافية وكانت معلوماتها عنه شحيحة[17] وهو ابن السقاط أستاذ القللوسي؛ حيث أخذ هذا الأخير عن كتب الأول، فإن تلك اللعنة من النسيان والإهمال قد لحقت التلميذ أيضاً وبخاصة من مؤلفاته؛ رغم أنه «معروف على مستوى مدونات التراجم» كما قال الشيخ محمد المنوني[18]؛ وفي الوقت الذي تُرجم فيه للقللوسي في عدة مصادر، فعرف به لسان الدين ابن

(16) السابق 44 ـ 47.

(17) انظر: مقدمة في علم العروض لابن السقاط، تحقيق د. علي الغزيوي ص6.

(18) قبس من عطاء المخطوط المغربي للأستاذ محمد المنوني دار الغرب الإسلامي بيروت 1999، 2/ 656، 1/ 333 ـ 338.

الخطيب في الإحاطة، ثم ابن حجر في الدرر، ثم السلاج في فهرسته، وابن القاضي في جذوة الاقتباس، والعباس بن إبراهيم في الإعلام، وذكر هؤلاء جميعاً تاريخي ولادته ووفاته أو أحدهما، فإن كتبه قد لقيت إهمالاً ليس يسيراً، ويكفي أنه غير معروف لنا اسمه ولا كتبه فيما يتداول في العصر الحديث من كتب العروض وشروحها، ولا يرجع ذلك إلى شيء في رأيي سوى جهل الباحثين بوجود كتبه، بل عدم تكلف المشاق والصعاب في التنقيب عن المخطوطات وتحقيقها ونشرها خصوصاً كتب العروض والقوافي.

اسمه ونسبه:

اسمه محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد[19] بن عبد الملك ابن محمد بن سعيد بن عبد الواحد بن أحمد بن يوسف ونسبته القبلية القُرائي[20]، ثم القضاعي نسبة إلى قضاعة وهي شعب عظيم يشتمل على قبائل كثيرة منهم كلب وبلي وجهينة وغيرها، وهي على اختلاف المؤرخين في جعلها من عرب الشمال أو عرب اليمن، وينتسب إليها خلق كثير كما قال الجزري[21]، ونسبته المكانية القللوسي أو القلاوسي[22] أو القالوسي أو القالوشي[23] ويكنى بأبي بكر ويلقب بالفار.

---

(19) في بغية الوعاة للسيوطي (تحقيق أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية بيروت 1/ 220) أورد الأسماء إلى هنا بإبدال محمد الثانية بأحمد أي هناك محمد بن أحمد وقد ذكر بأنه يعرف بالقلاوسي ولم يذكر القالوسي.

(20) نسبة إلى قبيلة قراوة، أو جراوة، أو كراوة بالقاف الفارسية، انظر الحماسة المغربية مقدمة المحقق الداية 1/ 10، ولم يذكر ابن الخطيب نسبة القرائي ولعله اكتفى عن القلاوسي أو القللوسي بقوله بعد ذكر النسب وبعد ذكر كونه من أهل اسطبونة وكونه يكنى بأبي بكر.. ويعرف بالقللوسي [الإحاطة 3/ 75].

(21) اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 3/ 43.

(22) في نسبة القلاوسي والقرائي انظر: إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي 1/ 620، كما وردت النسبتان القرائي والقللوسي في كتاب المؤلف الختام المفضوض، ونعتقد أن نسبة القللوسي ترجع إلى مكان ولكننا لم نستطع أن نرجع هذا المكان إلى أصوله؛ إذ لم نستطع العثور على شيء يتعلق بهذا الاسم وتفسيره.

(23) جذوة الاقتباس 1/ 288.

وأول مشكلة يلقاها المترجم للقللوسي هي هذا الاختلاف في نسبته؛ حيث وردت له أكثر من نسبة والمراد واحدة فقط من هذه جميعاً؛ فهو تارة القالوسي وأخرى القللوسي وثالثة القلاوسي ورابعة القالوشي وخامسة القلوسي، وسادسة القلالوسي[24]، وسابعة القلّوسي[25] ثم القطلوسي[26] وغالباً القللوسي، وواضح أن هذه النسب لا تعود إلى اسم واحد فقط بل إلى أسماء عديدة، فالأولى إلى قالوس والثانية إلى قللوس والثالثة إلى قلاوس... إلخ، وإنما اخترت نسبة القللوسي رغم أني فشلت في تأصيل هذه النسبة السالفة الذكر؛ فلم أوفق إلى اسم علم يدعى قللوس يمكن أن ينسب إليه فيقال قللوسي، وما جعلني أختار هذه النسبة إلا ورودها في أهم المصادر التي ذكرته ومن بينها كتبه التي رجعت إليها، أما القالوسي فإنني وجدت مكاناً يدعى بقالوس؛ حيث يقول أبو عبيد البكري عند حديثه عن الفسطاط مسترسلاً في ذكر موضع يعرف بهذا الاسم: «ثم أول مسجد بني بمصر بعد مسجد عمرو، المسجد الذي في أصل حصن الروم، عند باب الريحان، بإزاء الموضع المعروف بالقالوس ويسمى بمسجد القلعة»[27] أما نسبة القالوشي فهي ترد عند

---

(24) كما جاء في دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب ملحق 1995، ص102، حيث ورد ذكر مخطوط الكتاب الختام المفضوض عن مسائل علم العروض لأبي بكر محمد بن محمد القلالوسي على أنه مسجل أطروحة دبلوم الدراسات العليا من قبل الطالب مزوار الإدريسي بإشراف الدكتورة ميلودة الشرويطي بكلية الآداب بتطوان، بتاريخ 4/ 10/ 1995.

(25) وجدت هذه النسبة عند الباحثة الإسبانية المستعربة ماريا خيسوس بيغيرا مولنس، انظر: María Jesús Viguera Molins «Sobre documentos arabes granadinos» En el epilogo del Islam and alusi, Universidad de Granada, 2002, pp. 117 - 138, p127 - 132 وهي تذكر أنها أخذت هذه القراءة عن ابن الخطيب في إحاطته وكتيبته، وقد رجعنا إلى الإحاطة فقرأنا النسبة بلامين دون تشديد.

(26) وهذه نسبة انفرد بها ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1983، ص72.

(27) المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، حققه وقدم له أدريان فان ليوفن، وأندري فيري الدار العربية للكتاب تونس 1992، 2/ 608.

ابن القاضي الذي نسبه مرة بهذه النسبة[28] ومرة أخرى بالقللوسي[29]. كما وجدت بالمصادر الجغرافية اسماً آخر قريباً من هذه الأسماء وهو «قليوش» بالفتح ثم سكون اللام ثم ضم الياء ثم سكون الواو والشين المعجمة، وهي على ستة أميال من أريولة بالأندلس[30].

وكنت أظن أن القللوسي غير موجودة إلا عند ابن الخطيب ولعل من ذكره من أصحاب فهارس الكتب بهذه النسبة قد أخذ عن ابن الخطيب من كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة حيث ورد عنده مرتين بهذا الشكل القللوسي؛ مرة عندما كان يترجم له[31]، ومرة أخرى عندما كان يترجم لأحد تلاميذ القللوسي هذا فقال: «قرأ على القللوسي»[32]، وإن أهمل المحقق في الموضع الأول الضبط بالشكل، فإنه في الموضع الثاني أكد أنه لامان مفتوحتان: «قلَلَوسي». والأغرب من ذلك أن ترد النسبة في موضع ثالث بشكل ثالث أيضاً أي القطلوسي وهو دليل لا يدع مجالاً للشك في أن النسبة بها خلط وبعض من أوهام النساخ ومشاكل التصحيف والتحريف.

لكن الاسم ورد في كتاب المؤلف (زهرة الطرف) بلام واحدة ودون ألف أي القلوسي[33]، وعبد الوهاب بن منصور يذكر أنه رأى الاسم القالوسي في

---

(28) جذوة الاقتباس، لأحمد بن القاضي 1/ 288.

(29) جذوة الاقتباس 1/ 150.

(30) معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت 4/ 296. إلا أنني في الواقع لم أستطع تحديد قليوش هذه اليوم على الخارطة الإيبيرية، إذ توجد من الأسماء المشابهة كيلوث Quéluz وهي تقع ضمن الأراضي البرتغالية قرب لشبونة، كما توجد كيليس Queiles وهي تقع في مقاطعة كاستيا إليون في وسط شبه الجزيرة أو في شمالها، وهذا يعني أن كلا من البلدين ليس هو المذكور من قبل ياقوت لأنهما يبعدان كثيراً عن أريولة التي ذكر أن قليوش تبعد عنها بستة أميال؛ فأريولة تقع في محافظة مرسية ضمن مقاطعة الأندلس أو أندلثيا، ومرسية في أقصى الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة.

(31) 3/ 75.

(32) 3/ 414.

(33) انظر: زهرة الطرف ص1.

مخطوط للإحاطة القلوسي أي بلام واحدة دون ألف بعد القاف[34].

ويترجمه ابن حجر الذي ينقل عن ابن الخطيب بالقالوسي[35]، أما الباحث الحديث الوحيد الذي ذكر القللوسي وكتبه أكثر من مرة وهو البحاثة المغربي د. علي الودغيري، فلم يذكره إلا بالقللوسي[36].

إذن ورد أمران يشككان في القللوسي التي جاءت في الإحاطة المحققة؛ وهما وروده في إحدى النسخ المخطوطة للإحاطة بالقالوسي، ووروده في مصدر نقل عن ابن الخطيب وهو الدرر الكامنة بالنسبة نفسها.

لكن القللوسي جاءت أيضاً في كتاب لا نعتقد أن له علاقة بالأخذ عن الإحاطة وهو فهرسة السراج، حيث ورد فيها أكثر من مرة القللوسي، ولا يمكن أن تكون كل هذه تصحيفات وتحريفات.

وقد حاولت أن أجد «قللوس اسم علم لمكان أو غيره، يمكن أن ينسب إليه، فلم أظفر من ذلك بشيء، وقدرت أن يكون الأقرب هو القليوسي حيث يوجد قليوش علماً على مكان بالأندلس[37]. لكن لم يبق أمامي غير الجزم بأنها القللوسي نظراً لأنها وردت في كتبه والمصادر التي أرخت له أكثر من غيرها؛ فعلى افتراض خطأ من نسخَ بعض نسخ الإحاطة فإنه لن يخطىء من نسخ كل نسخ فهرسة ابن السراج، ولن يكون مخطئاً أيضاً كل من نسخ أغلب كتبه التي جاءت فيها نسبة القللوسي.

وربما بدا ممكناً أن يخرج من هذا التضارب في نسبته بالقول إن نسبته هي

---

(34) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 4/ 338، هامش 1.

(35) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت 4/ 170.

(36) انظر: تحقيقه لمقدمة في العروض لأبي عبد الله محمد بن علي بن السقاط الأنصاري، ط الأولى فاس 1421/ 2000، ص7، 17.

(37) معجم البلدان لياقوت الحموي، مكتبة الخانجي مصر 1324/ 1906، 7/ 157.

القالوسي لأنه يوجد مكان يدعى بقالوس ولم يوجد مكان يدعى بقللوس، لكن عدم وجوده من قبل من بحث عنه لا يعني عدم الوجود مطلقاً، غير أن القالوسي هي نسبته في بعض المصادر بهذه الطريقة إضافة إلى أن ما جاء في بعض المصادر القديمة التي اعتمدت القللوسي قد جاء ما يشكك فيه من رؤية عالم مدقق مثل عبد الوهاب بن منصور، الذي رآه في بعض المخطوطات للكتاب نفسه القالوسي، ولكن الشك ليس في رؤية العالم ولا دقته، وإنما الشك في النسخة المخطوطة التي رآها، ومشاكل المخطوطات من النسخ وأخطاء النساخ وأوهامهم لا تخفى على ذي دراية في علم المخطوطات والتحقيق.

ميلاده ووفاته:

كل المصادر التي رجعت إليها تجمع على أنه ولد بمدينة إسطبونة Estepona وهي مدينة صغيرة بجنوب الأندلس، وبالتحديد جنوب غربي مالقة مطلة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ضمن المنطقة التي تدعى اليوم بشاطىء الشمس[38]، وذلك عام 607[39]، ويذكر ابن الخطيب أنه أصبح علماً من أعلام الفضل والإيثار والمشاركة في هذه المدينة، وولي الخطابة بها، وقعد للتدريس، ولقي قبولاً لدى الناس، حتى انهالوا عليه وأخذوا عنه[40] أما وفاته فكانت أيضاً بمسقط رأسه إستبونة ـ أو إسطبونة ـ يوم الجمعة عصراً، الثامن عشر من شهر رجب عام 707[41]، وذكر السيوطي أنه كان إماماً في العربية والعروض وكان من أهل الفضل والعلم والإيثار فيه والمشاركة، شهيراً علماً وعملاً.

---

(38) وبالإسبانية .Costa del Sol.

(39) جذوة الاقتباس 1/ 288.

(40) الإحاطة 3/ 67.

(41) الإحاطة 3/ 78.

أسرتـه:

لا نعلم شيئاً كثيراً عن أسرة القللوسي؛ وذلك لأن المصادر لم تذكر شيئاً يشفي الغليل في هذا الصدد، بل حتى يبل الريق، ويبدو أنه كان ينتمي إلى أسرة تضرب في العلم والرواية بسهم، إذ نجده ينسب إلى جد له أنه كان له رأي في العروض فيقول متحدثاً عن بعض البناءات العروضية: «ذهب جدنا أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى قدس الله روحه إلى أنه شبه فعولن هنا بفعولن الذي هوأصل بناء، ثم أدخله الحذف فصار مستفعلن فاعلن فعل»[42].

ونحن نعلم أن هذا الاسم الذي ذكره ينطبق على لغوي أندلسي شهير سابق له، وهو الملقب بالأعلم الشنتمري الذي كان له العديد من الكتب اللغوية والأدبية، من بينها شروح للشعر الجاهلي والحماسة ولكتاب سيبويه، لكن لا ندري إن كان هو المقصود أم هو شبيه له في الاسم، وإن كان له مؤلف في العروض أم لا، والأهم من ذلك أننا لا ندري إن كان جده على الحقيقة أم المجاز وهل كان جده المباشر أم هو جد سابق من أجداده، وهو على أية حال، أي سواء كان الشنتمري أم غيره لن يكون إلا جده لأمه؛ لأنه لم يذكر في نسبه الذي ورد في المصادر التي رجعنا إليها سواء أكانت كتب القللوسي أم مصادر أخرى، ومن ثم لا نستطيع أن ننفي أو نثبت أنه الشنتمري رغم التطابق في الاسم، فقد يكون يوسف آخر.

تنقلاتـه:

ومن ذكر ابن القاضي له في كتابه جذوة الاقتباس نعلم أنه قد حل مدينة فاس وذلك كما يقتضي منهجه الذي يلتزم بعنوان الكتاب جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ثم من النص صراحة على أن ابن البناء قد التقى القللوسي أو القالوشي بمراكش وأخذ عند هناك، نعلم أنه قد حل مدينة مراكش

(42) مخطوط الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض، الأسكوريال 288، ص48.

لكن الخلط يتسرب إلى هذه المعلومات عندما يذكر لنا ابن القاضي أن ابن البناء أخذ عن القللوسي كتابه الختام المفضوض تارة في مراكش[43] وتارة أخرى في فاس[44] ولعله أخذ الكتاب على مراحل بعضها في فاس والبعض الآخر في مراكش.

والقللوسي يؤكد لنا في كتابه زهرة الطرف أنه حل مدينة مراكش وذلك عندما يشير إلى أنه كان قد فكر في تأليف في عروض الدوبيت، ولكنه انصرف عن الفكرة حتى حل مدينة مراكش فاقترح عليه أحدهم إكمال ذلك التأليف وتنقيحه وتلخيصه، قال: «فلما حططت بمراكش قتب الرحل وتعرفت منها بأهل الذكاء والنبل... سألني بعض أذكيائها النبلاء، وأدبائها البرعاء تنقيحه وتكميله وتوشيحه بما نقص منه وتذييله، وأن أضع فيه مجموعاً....»[45].

وقد ذكر ابن القاضي أن القللوسي يلقب بالفار[46] وتابعه في ذلك العباس ابن إبراهيم السملالي[47]، بل يبدو أنه تابعه في أغلب المعلومات التي ضمنها ترجمته له من تاريخ الميلاد والوفاة ومن أخذ عنه من التلاميذ؛ حيث ذكر لقاء ابن البناء له بمراكش، وتلقيه عنه كتاب العروض الختام المفضوض، وأرجوزته في العروض هناك، وتأليف أرجوزته في الفرائض وتلقي غير ذلك من العلوم، وذكر تلميذه الآخر عبد الملك بن مخلص الأنصاري الذي تلقى عنه أرجوزته في الفرائض. وعلى أية حال فيبدو أن تنقلاته تلك بمدينة فاس أو مراكش كانت عبر رحلات مؤقتة إذ يفيدنا ابن الخطيب أنه توفي ببلده التي ولد بها[48].

---

(43) جذوة الاقتباس 1/ 150.

(44) جذوة الاقتباس 1/ 288.

(45) مخطوط الاسكوريال 288، ص1.

(46) جذوة الاقتباس 1/ 150.

(47) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 4/ 337.

(48) الإحاطة 3/ 78.

علمه وآثاره:

من أهم ما يوصف به القللوسي أنه كان إماماً في العربية والعروض والقوافي، له مشاركة في الفقه والفرائض والقراءات، وكان من أعلام الحفاظ للغة، متعصباً لسيبويه، ووصفت مؤلفاته فيها بأنها حسان[49]، وتعصبه لسيبويه يشرحه القريب من عصره المؤرخ الغرناطي ابن الخطيب بقوله: «يحفظ الكثير من كتاب سيبويه، ولا يفارقه بياض يومه شديد التعصب له، مع خفة وطيش يحمله على التوغل في ذلك»[50]، ويذكر قصة مفادها أنه كان في حلقة القاضي أبي بكر ابن الرندون، وتكلم هذا في مسألة من العربية نقلها عن سيبويه، مخطئاً إياه، ولما كان القللوسي لا يستطيع الرد بما يشفي نفسه من القاضي لمكانة هذا الأخير، بقي القللوسي طوال يومه يدور في المسجد والدموع تنحدر على وجهه قائلاً: أخطأ من خطأه[51].

يذكر مترجمه[52] أن له شعراً، منه قصيدة مطلعها:

أطلع بأفق الراح شمس الراحِ وصل الزمان مساءه بصباحِ

وينسب المقري[53] أربعة أبيات إلى المدعو محمد بن إدريس القضاعي الإصطبوني، وما نراه إلا مترجمنا هذا، وهي:

عُلاه رياض أورقت بمحامدٍ تَنَوَّرُ بالجدوى وتثبت بالأَمَلْ
تَسُحُّ عليها من نَداه غمامةٌ تروّي ثرى المعروف بالعلِّ والنهَلُ
وهل هو إلا الشمس نفسا ورفعة فيقربُ بالجدوى ويبعدُ بالأملْ

---

(49) انظر: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للسملالي 4/ 338 وهو ينقل عن صاحب الدرر الكامنة (4/ 170) الذي ينقل عن ابن الخطيب.

(50) الإحاطة 3/ 76.

(51) الإحاطة 3/ 76.

(52) الدرر الكامنة 4/ 170، الإعلام 4/ 338.

(53) نفح الطيب 4/ 150.

تـعـمُّ أيـاديـه الـبـريّـةَ كـلّـهـا فدانٍ وقاصٍ جودُ كفّيهِ قد شملْ

ولكن يبدو أن المقري اكتفى باسم أبيه عن اسمه، أو أن صاحب الأبيات هو أبوه كما يقتضي الاسم محمد بن إدريس، أما النسبتان القضاعي والاسطبوني فتنطبقان على الابن والأب، ولكننا نميل في النهاية إلى أن المقصود هو الابن وهو القللوسي هذا الذي نترجم له.

أما ابن الخطيب فقد أفرد عنواناً لشعره، ورغم أن لم يسق منه شيئاً ذا بال في الكم، فإنه ألمح إلى أن له شعراً لا بأس به من الناحية الفنية، وإلا فما استطاع أن يمدح به وزيراً كابن الحكيم كما يروي ابن الخطيب؛ حيث ذكر له أربعة أبيات من قصيدة مدح بها هذا الوزير، ورجلاً آخر نتوقع أنه وزير أو قائد، وهو أبو عبد الله بن الرنداحي، الذي مدحه بقصيدة نقلها ابن الخطيب عن أوراق من تسجيل القاضي أبي الحسن البُنَّاهي[54].

ونعتقد أن ثقته في شعره ـ وهي ثقة تخرج عن التواضع في رأينا ـ هي التي جعلته يستشهد بهذا الشعر في مواضع عديدة من كتبه كما سنرى فيما أسفل هذا البحث.

لكن المهم والجديد في علوم القللوسي أنه حاول أن يضع نظرية في العروض المهمل أو ما سماه الخليل العروض المهمل، وتعقب تلك الأوزان الموجودة في العروض وذكر الأشعار التي جاءت عليها، خصوصاً الموشحات التي حصل نقاش طويل في عروضها غير الخليلي الذي ذهب بعضهم إلى أنه ليس عربياً، متخذاً هذا البعض من مقولة ابن بسام عصا يتوكأ عليها في زعمه هذا، في حين أن نفي كونها أن تكون من العروض الخليلي لا يعني نفي العربية عنها.

(54) انظر: الإحاطة 3/ 77 ولم يضمن البناهي هذه الأبيات في كتابه قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا.

أساتذته:

هم من أهم أساتذة وعلماء الأندلس في القرن السابع، ويذكر له منهم:

1 ـ أبو الحسن بن أبي الربيع.

2 ـ وأبو جعفر بن الزبير.

3 ـ وأبو القاسم بن الحصار الضرير، وغيرهم[55].

من أهم تلاميذه:

1 ـ للقللوسي وكتبه أهمية ظاهرة بين علماء العروض في الغرب الإسلامي حتى إنه كان يعرف بالقافي كما ذكر ابن الخطيب[56] ولهذا لا نستغرب أن كانت كتب القللوسي من الكتب التي تتدارس وتعلم مناهج في علم العروض؛ نجد شهادة بذلك في كتاب فهرسة السراج[57] الذي يذكر أن أبا عبد الله محمد المدعو بمنديل ـ وهو ولد ابن آجروم ـ قد قرأ على شيخه قاضي الجماعة أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي يحيى ـ منزل هذا الأخير بمدينة فاس ـ جملة من الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض، تصنيف شيخه العروضي النحوي الفرضي أبي بكر محمد بن محمد بن إدريس القضاعي ثم القللوسي وناوله جميعه، وقرأ عليه نبذة من شرح عروض ابن السقاط[58] للقللوسي أيضاً، ورجزاً في العروض المسمى بالنكت العلمية في مشكل الغوامض الوزنية، ورجزاً في علم القوافي المسمى بالنكت المستوعبة، وهي رجز كبير ينيف على ألف بيت، وبعض تأليفه المسمى بزَهرة الطرف وزُهرة الظرف في عروض

---

(55) انظر الإحاطة 3/ 77.

(56) الإحاطة 3/ 76.

(57) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 2643 د.

(58) أبو عبد الله محمد بن علي الأنصاري، من أعلام فاس القرن السادس الهجري (انظر مقدمة في العروض لأبي عبد الله محمد بن علي الأنصاري ابن السقاط تحقيق وتقديم الدكتور علي الغزيوي ط1، فاس 2000/ 2001، ص9 ـ 10.

الدوبيت، أجاز له أن يحدث عنه بجميع ذلك عن مصنفه أبي بكر القللوسي، وأجاز له جميع ما رواه عن القللوسي المذكور وعن غيره من أشياخه[59].

2 ـ كذلك أيضاً كان من تلاميذ القللوسي العالم الرياضي الكبير ابن البناء المراكشي فقد ذكر ابن القاضي أنه أخذ علم العروض عن أبي بكر القللوسي، وأضاف «الملقب بالفار» قال بأنه لقيه بمراكش وقرأ عليه كتابه الكبير المسمى بالختام المفضوض من خلاصة العروض، وأرجوزته العروضية المسماة بالنكت العلمية في مشكل الغوامض الوزنية، كما قرأ عليه إثارة المسائل الغوامض عن متعلقات مشكل علم الفرائض، ويخبرنا ابن البناء عن كيفية تأليف هذا الكتاب بقوله: كنت أفرض لأبي بكر القللوسي مسائل من علم الفرائض فينظمها حتى كمل به رجزه هذا[60].

3 ـ ومن تلاميذه أيضاً عبد الملك بن مخلص الأنصاري، الذي أجازه وأخذ عنه عام سبعمائة رجزه في الفرائض الذي يسمى الغوامض من متعلقات مشكل الفرائض[61].

مؤلفاته:

1 ـ **النكت العلمية في شكل الغوامض الوزنية**[62].

2 ـ **شرح عروض ابن السقاط**[63].

3 ـ **نظم في الفرائض**، وقد سماه ابن الخطيب رجزاً، ووصفه بأنه شهير علماً وعملاً[64].

---

(59) فهرسة السراج 211 ـ 215.

(60) جذوة الاقتباس 1/ 150.

(61) جذوة الاقتباس 1/ 288.

(62) فهرسة السراج 211 ـ 215، جذوة الاقتباس 1/ 150...

(63) فهرسة السراج 211 ـ 215.

(64) الإحاطة 3/ 76.

4 ـ **أرجوزة في شرح الفصيح**، ويبدو أنه كتاب الفصيح لثعلب.

5 ـ **تاريخ إسطبونة** وسماه ابن الخطيب «الدرة المكنونة في محاسن إسطبونة».

6 ـ **تأليف في ترجيل الشمس ومتوسطات الفجر ومعرفة الأوقات بالأقدام.**

7 ـ **أرجوزة في شرح ملاحن ابن دريد.**

وهذه الكتب المذكورة آنفاً لم أجد شيئاً عنها غير ذكرها بالإشارة أو العنوان، في المصادر التي ترجمت له أو ذكرت كتبه، ولم أعلم إن كانت موجودة اليوم ترقد في زاوية من زوايا المخطوطات العربية المنتشرة في العالم، وهي تنتظر من ينفض عنها غبار الإهمال والنسيان، أم هي من الكتب الضائعة فيما ضاع من تراث العربية في الأندلس وغيره من بقاع المعمورة.

8 ـ **نظم في القوافي** وهو الذي ذكره له السراج باسمه الذي وجدته مذكوراً في المخطوط «النكت المستوعبة وهو ما يمكن أن يسمى ألفية في علم العروض؛ بل هو أكثر من ألفية؛ إذ تجاوز الألف بيت، فبلغ حوالي ألف وخمسمائة بيت، وهو موجود مخطوطاً بمكتبة دير الإسكوريال بمدريد، ورغم أنه في القوافي كما ذكر السراج وكما جاء في تسمية الكتاب وعنوانه فإن ابن الخطيب يدعوه بأنه في العروض والقوافي[65].

9 ـ **زهرة الطرف وزهرة الظرف في عروض الدوبيت**، وهو من الآثار التي عثر عليها للمؤلف ولكنه موجود بمكتبة دير الإسكوريال مبتور الآخر، بل إن المبتور لجزء كبير، حيث إنه كما جاء في المقدمة يتألف من أربعة عشر فصلاً، وبترت النسخة التي عثرنا عليها في الفصل الحادي عشر، ومع وجود هذه النسخة من كتاب زهرة الطرف، فإن الصواب لم يحالف هلال

(65) الإحاطة 3/ 76.

ناجي حين عمل استقراء وصفه بالدقة فلم يظفر ـ عدا رسالة ابن المرحل ـ بغير مؤلف واحد من الأندلسيين والمغاربة كتب في عروض الدوبيت وهو أبو إسحاق التلمساني[66]؛ فناجي لم يطلع على خبر عن تأليف القللوسي لزهرة الطرف الذي هو في عروض الدوبيت والعروض المهمل.

ويعتبر هذا الكتاب من النصوص النادرة التي عرضت لدراسة الشعر غير التقليدي في المغرب والأندلس؛ فمع أن اختراع هذا الشكل الجديد من الموشحات والأزجال كان من قبل الأندلسيين، فإنه معروف أن أهم مُقعِّدَيْن لهذين الفنين كانا من المشارقة، وهما ابن سناء الملك والصفدي، ولم يظهر أي أندلسي يهتم بهما قبل هذا الأندلسي الذي ولد وعاش في القرن السابع وتوفي في أوائل الثامن بعد أن أدرك حوالي عقده الأول، وبالرغم من أن هذا الكتاب كما يبدو من عنوانه في العروض المهمل، فإن هذا العروض قد أتى على وزنه كثير من الموشحات والأزجال ومن ثم كان ميداناً للدراسة التطبيقية لعروض الموشحات والأزجال الأندلسية وكذلك الدوبيت، ذكر فيه المؤلف كثيراً من النماذج في ذلك لأندلسيين، وكثيراً ما نجد مثل قوله «وهذا الضرب كثير الاستعمال في التوشيح والأزجال على قديم الزمان»[67] ومن بين ذلك نماذج للمؤلف نفسه كما في قوله «. . . وعلى هذا المنزع قولي من هذا الضرب:

أودى بك للجفون دائل	**فجسمك بالسقام ذابل**
والوجد مع الضنا مقيم	**والصبر مع السّلوّ راحل**
يا عاذلي في الغرام إنّي	**لا أقبل قولةً لعاذل**
هيهات أيرتجي سلوي	**من ليس على الهوى بزائل**
بالله دع الملام واكفف	**ما العاذل في الهوى بعادل**

(66) انظر تقديمه لتحقيق رسالتين لابن المرحل في الدوبيت ضمن مجلة المورد العراقية ص160.

(67) زهرة الطرف 24.

قد نافر مقلتي كراها مذ صدّ وصدّقَ العواذل
طبي بوصاله حياتي لو لم يك بالصدود قاتل
البدر بوجهه يحاكي والغصن بقده يماثل
تُصميك لجفنه سهام ما تفعل فعلها الذوابل
القلب على هواه واقف إن حال فما أنا[68] بحايل
يا يوسف قد دعاك صب لم يحل من المنى بطايل
مولاي هب الرضا فإني مدَدْتُ إليك كف سائل
والحب وسيلتي ومن لي أن تنفع عندك الوسائل
قد جئتك خاشعاً ذليلا حاشا[69] لك أن ترد آمل
فاسمح برضاك لي وداو من زفرة لوعتي بقابل»[70]

وقد ذكر القللوسي في كتابه هذا خطأ ابن فتحون السرقسطي المنبوز بالحمار، وذكر بعض مقاله في حصر الأنحاء الموسيقية التي ينضبط بها شعر العرب ولا ينحصر، وكان خطأ الحمار أنه حصرها بحوالي خمسمائة ألف في لسان العرب والعجم، وأشار القللوسي إلى رد ابن الحداد على كلام الحمار، ولعل هذا الرد يوضح لنا قليلاً فحوى رد ابن الحداد الذي كتب كتاباً في العروض والموسيقى أو «جمع فيه بين الأنحاء الموسيقية والآراء الخليلية» كما يذكر المقري[71] الذي يغفل ذكر اسم كتاب ابن الحداد فيسميه القللوسي بالامتعاض[72].

(68) في المخطوط وردت أن بدون ألف والظاهر أن الناسخ كتبها كما تنطق نزولاً عند مقتضيات الوزن.
(69) في المخطوط وردت بدون ألف (حاش) وهو جائز نحوياً إلا أنه غير جائز عروضياً هنا.
(70) زهرة الطرف ؛[أسكوريال 288] ص21 ـ 22.
(71) انظر: نفح الطيب 3/ 503.
(72) انظر: زهرة الطرف 3.

10 ـ ومن بين كتب القللوسي «**تحف الخواص في طرف الخواص**» توجد نسخة منه مؤرخة بمنتصف جمادى الأولى 993هـ/ 1585 كتبها عن مبيضة المؤلف ناسخ لم يذكر اسمه [خزانة حسنية 8998 في 67 ورقة] وهي تتعلق بصناعة الأحبار والأمداد في الأندلس والمغرب والمشرق[73]، وقد ذكر ابن الخطيب هذا الكتاب بالإشارة إليه ولم يذكر عنوانه، وذكر أنه قدمه أو أهداه للوزير ابن الحكيم؛ قال: «ورفع للوزير ابن الحكيم كتاباً في الخواص وصنعة الأمِدّةِ والتطبع الشاب، غريباً في معناه»[74].

11 ـ **الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض**: وهو فيما نعلم أهم كتب القللوسي العروضية من حيث حجمه ومحتواه؛ حيث جاء في حوالي 140 صفحة من الصفحات ذات الحجم الكبير، وشمل كل كليات علمي العروض والقافية وجزئياتها، في شرح مبسوط وتعداد للأمثلة الغزيرة، ورجوع المؤلف إلى مصادر شملت كل علماء العروض السابقين له وتأليفاتهم أو على الأقل أغلبهم خصوصاً الأندلسيين والمغاربة.

بعد المقدمة قسمه إلى ثلاثة أبواب؛ الباب الأول مقدمة هذا العلم كما قال[75]، والباب الثاني في الأشطار والدوائر، وشواذ الأشعار، أما الباب الثالث ففي ألقاب الزحاف، ومن طبيعة الأبواب نفسها فإن حجمها لم يكن متعادلاً في الكتاب؛ حيث إن الباب الأول الذي هو مقدمة هدا العلم كما يقول جاء في 34 صفحة، أما الباب الثاني الذي هو أغلب علم العروض وأهم ما فيه فجاء في 64 صفحة، أما الثالث فكان في 40 صفحة.

ونرى بوادر النقد والتمحيص وعلامات الإضافة والتجديد في كثير من

(73) قبس من عطاء المخطوط المغربي للأستاذ محمد المنوني، دار الغرب الإسلامي بيروت 1999، 2/ 656، 1/ 333 ـ 338.

(74) الإحاطة 3/ 76.

(75) انظر ص4.

مواضع هذا الكتاب، مثل تخصيصه الفصل الثاني من الباب الثالث للكلام على أن الألقاب التي ذكرها وذكرها جميع العروضيين قبله جاءت في عديد من المصادر، وأن أكثرها جاء في مختصر العين، إلا أنه له نظير فيما جاء في هذا الكتاب حول هذه الألقاب[76] «المصطلحات». بمعنى أنه لا يوافق على ما جاء في الكتب التي قبله.

يذكر في أسباب تأليفه أنه دعاه إلى ذلك بعض من لا يستطيع رداً لطلبه في أن يؤلف كتاباً مستخلصاً شاملاً مفيداً في العروض بعد أن كان له اهتمام بهذا العلم منذ صغره حتى نبغ فيه وأدرج مسائله وفهم جزئياته مما لم يشرحه الخليل ولا كبار العروضيين بعده، كابن جني والزجاجي والأخفش والسيرافي والنديم وابن بري[77] وهؤلاء من أهم العلماء المشارقة الذين نقل عنهم في كتابه هذا، إضافة إلى أبي علي الفارسي الذي ينقل عمن نقل عنه أو ينقل عن كتابه الإيضاح، وأبي القاسم بن الزجاجي والجوهري، وأبي الفرج الأصفهاني، وينتقد بعض آراء هؤلاء مثل النديم الذي حكى قوله مرة بـ«زعم النديم»[78] كما ينقل عن قطرب؛ أبي علي بن المستنير، أما أهم العلماء المغاربة والأندلسيين فهم ابن عبد ربه الذي استشهد ببعض أشعاره جاعلاً إياها نماذج يطبق عليها النظرية العروضية، كما غلَّطه عروضياً في بعض المواضع[79] وأبو محمد بن السيد البطليوسي، وابن الإجدابي، وابن الحداد، وابن رشيق، والبياسي، وأبو بكر محمد بن علي بن السقاط، وأبو علي بن الشلوبيني، ومالك بن المرحل الذي يدعوه غالباً بشيخه[80]، إضافة إلى شيوخه الآخرين مثل أبي إسحاق بن أبي بكر[81] كما نقل عن عروضي مغربي كانت مقدمته أو رسالته في العروض

(76) انظر ص104.
(77) انظر الختام 3 ـ 4.
(78) ص43.
(79) انظر: الختام 91.
(80) انظر: مثلاً ص63.
(81) انظر: الختام ص64.

رائجة جداً في سوق المتأدبين بهذا العلم؛ بدليل ما نجده عليها من شروحات وتعليقات ألا وهو ابن السقاط الذي كان ـ على ما يبدو ـ بفاس في القرن السادس الهجري، قال ابن السراج عندما كان يذكر أبا العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم الأنصاري: «أخذ... وعن الأستاذ المقرىء جابر بن علي بن جابر الأنصاري جميع عروض ابن السقاط وحدثه به عن الأستاذ أبي يحيى بن القالوني»[82].

وقد سجل فيه استشهادات كثيرة من الشعر الأندلسي مما يمكن أن يعده مصدراً من مصادر الشعر الأندلسي. والشعراء الأندلسيون الذين أثبت شعرهم كانوا من السابقين لعصره والمعاصرين له الذين تلقى عنهم مشافهة مثل البسطي الذي أنشده مباشرة[83] وهو لا يستشهد بالشعر الأندلسي فقط بل إنه في بعض الأحيان يقرنه بشعر جاهلي أو إسلامي كما فعل في بيت المعتمد ابن عباد:

يـا صـاحِـبَـيَّ قـفـا أبـثـكـمـا وجـدي لـعـل لـديـكـمـا نـفـعـا

حين ساقه وذكر معه بيتاً من أبيات الكتاب لسيبويه وقال بأن البيتين يحتملان أن يكونا من المنسرح أو الكامل[84]. وغير هذا من أشعار الأندلسيين أو المغاربة مثل أبي بكر بن الصابوني الإشبيلي وصفوان بن إدريس، بل إنه يستشهد بأشعاره هو نفسه، وهذه الأشعار سواء كانت له أم لغيره من الأندلسيين غالباً لا نجدها في مصدر آخر، كما هو الشأن في هذا البيت الذي نسبه إلى المعتمد ابن عباد.

والأهم من ذلك أنه يهتم كثيراً بأمر الموشحات، ويذكر الأوزان التي جاءت عليها؛ مثل حديثه عن مشطور الخفيف، وذكره أن بعض استعمالاته كثيرة في شعر المحدثين وخاصة في الموشحات، أو قوله في مناسبات عديدة:

---

(82) فهرسة السراج 140.

(83) انظر: الختام المفضوض 89.

(84) انظر: الختام المفضوض ص61.

«وكثيراً ما نجد هذه العروض في الموشحات»[85]، والاهتمام بعروض الموشحات وذكرها في كتب العروض الرسمية جرأة لم تر النور فيما أعلم قبل القللوسي وكتبه في العروض.

كما ينقل عن الجوزي[86] من كتابه المدهش الذي جمع فيه كثيراً من الأشعار غير الرسمية أي من أشعار الموشحات والأزجال والدوبيت، وإذا نقل عنه في كتابه (الختام المفضوض) الذي الأصل فيه أن يكون معياراً للأشعار الرسمية، فمن باب أولى أن ينقل عنه في كتابه الآخر، وهو (زهرة الطرف وزهرة الظرف) الذي هو مخصص للدوبيت والعروض المهمل.

وقد سجل فيه من الآراء والأحكام ما لم يوجد في كتب العروض الأخرى مثل قوله: «وقد غلط المتنبي في «كذا» و: «من أغرب ما مر بي للمحدثين في الطويل»[87].

وقد علمت أن باحثاً مغربياً قد سجل تحقيق هذا الكتاب رسالة للماجستير في جامعة محمد الخامس بالرباط[88]، ولم أعلم ما إذا تمت تلك الرسالة ونوقشت أم لا، وعلى افتراض أنها نوقشت فلا يكفي هذا بل لابد من نشر هذه الرسالة، كما أنه لابد من تحقيق ونشر تراث القللوسي الذي رأينا أنه من الأهمية بمكان، فنرجو أن يقيض الله له من يقوم بهذه المهمة غير اليسيرة إلا لمن يسرها الله عليه.

---

(85) انظر: الختام ص83.

(86) هكذا يورده دائماً الجوزي دون الكنية ابن.

(87) انظر: ص40.

(88) انظر دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب ملحق 1995، ص102.

مصادر البحث ومراجعه

- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب تحقيق محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي، القاهرة 1395/ 1975.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، لعباس بن إبراهيم، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور المطبعة الملكية، الرباط 1400/ 1980.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي، مكتبة المثنى ببغداد.
- بغية الوعاة للسيوطي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لأحمد بن القاضي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1973.
- الحماسة المغربية لأبي العباس الجراوي التادلي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت دار الفكر دمشق 1411 / 1991.
- الحيوان للجاحظ، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت 1419 / 1998.
- الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض لمحمد بن إدريس القللوسي، مخطوط، الاسكوريال 288.
- دار الطراز في عمل الموشحات لابن سناء الملك المصري، تحقيق جودت الركابي، دار الفكر، سوريا 1400 / 1980.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، دار الجيل بيروت.
- دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب ملحق 1995، كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط، الرباط 1997.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس 1395 / 1975.
- «رسالة ابن المرحل في الدوبيت، تحقيق هلال ناجي، مجلة المورد العراقية»
- زَهرة الطرف وزُهرة الظرف، لمحمد بن إدريس القللوسي، مخطوط الإسكوريال 288.
- فهرسة السراج، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط 2643 د.

- قبس من عطاء المخطوط المغربي للأستاذ محمد المنوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999.
- اللباب في تهذيب الأنساب، للجزري، دار صادر، بيروت
- المثل السائر، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر.
- المدارس العروضية في الشعر العربي لعبد الرؤوف بابكر بالسيد، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ليبيا 1985.
- المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، حققه وقدم له أدريان فان ليوفن، وأندري فيري الدار العربية للكتاب تونس 1992.
- «المستشرقون ودراسة العروض العربي» مسلك ميمون، مجلة عالم الفكر، مجلد 25 العدد الأول يوليو ـ سبتمبر 1996.
- مقدمة في علم العروض لابن السقاط (أبي عبد الله محمد بن علي بن السقاط الأنصاري)، تحقيق على الغزيوي، ط الأولى فاس 1421 / 2000.
- معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.
- نثير الجمان لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت 1987.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وأخبار وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1408 / 1988.
- نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- «Introducción exegética a la metrica árabe» .A. Sanchez Sancha, Awraq yadida, Revista editada por el instituto hispano-arabe de Cultura madrid, N 7-8 1984-85.